المحاضرة 10: التنوع اللغوي والجغرافي : جعرافية اللغة والأطلس اللغوي

تمهيد

تشغل اللغة حيزا اجتماعيا، تجري على لسان شعب واحد أو أمة واحدة، تتعدد وتتنوع مستوياتها تبعا لتعدد الناطقين بها وتنوع ثقافتهم، وطبقاتهم الاجتماعية وتباعد الفوارق الزمانية والمكانية والمهنية بينهم.

ستدعي دراسة القضايا اللغوية في ضوء العلوم الاجتماعية اتصال البحث اللغوي بعلوم متباينة، كعلم الاجتماع، علم النفس، علم الجغرافيا، علم التربية، وغيرها، ولعل أبرزها وأوسعها هو علم اللغة الاجتماعي أو ما يعرف "باللسانيات الاجتماعية"، هو ذلك العلم الذي يبحث في اللغة بوصفها طاهرة اجتماعية لها نشوؤها وتطورها وتفرعها إلى لهجات متعددة، ويتناول تطورات اللغة من وجهة نظر سكانية على جميع مستويات التحليل الصوتية والنحوية والدلاليةو يشمل دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع.

أولا: مفهوم جغرافية اللغة

تُعدّ جغرافية اللغة فرعًا من فروع علم الجغرافيا البشرية يهتم بدراسة التوزيع الجغرافي للغات وعناصرها المكونة. يبحث هذا العلم في كيفية توزع اللغات واللهجات على سطح الأرض، والعوامل التي تؤثر على هذا التوزيع، مثل:

- **العوامل التاريخية :**مثل الهجرات والغزوات والحروب.
- **العوامل الجغرافية :**مثل التضاريس والمناخ.
- **العوامل الاجتماعية :**مثل الدين والثقافة والسياسة.
- **العوامل الاقتصادية :**مثل التجارة والهجرة.

وعليه فجعرافية اللغة من المسائل اللغوية الاجتماعية ذات الصلة بالجانب الجغرافي، فهي ظاهرة اجتماعية لغوية، تستهدف تحديد مواقع تنوع اللغات واللهجات وتعايشها في منطقة جغرافية واحدة، مع مراعاة أسباب التنوع اللغوي بالتنوع الجغرافي.

ثانيا: نشأة جغرافية اللغة

يمكننا القول أنّ جغرافية اللغة نشأت كعلم مستقل في القرن التاسع عشر، مع ظهور أعمال الباحثين الأوائل مثل :**كارل ريتر** و **ألكسندر فون هومبولت** .ركز ريتر على دراسة العلاقة بين اللغة والبيئة، بينما اهتم هومبولت بتوزيع اللغات على سطح الأرض.

التطورات في القرنين التاسع عشر والعشرين:

شهد القرن التاسع عشر تطورًا كبيرًا في جغرافية اللغة، مع ظهور العديد من الدراسات والنظريات الجديدة. ركزت هذه الدراسات على:

- **دراسة اللهجات :**ظهرت العديد من الدراسات التي تصف وتصنف اللهجات المختلفة في العالم.
- **دراسة التنوع اللغوي :**ظهرت دراسات تُعنى بقياس التنوع اللغوي في المناطق المختلفة.
- **دراسة اللغات المهددة بالانقراض :**ظهرت دراسات تُعنى بتحديد اللغات المهددة بالانقراض ووضع خطط لحمايتها.

في القرن العشرين، ظهرت نظريات جديدة في جغرافية اللغة، مثل:

- **نظرية اللغويات الاجتماعية :**تُعنى بدراسة العلاقة بين اللغة والمجتمع.
- **نظرية اللغويات المكانية :**تُعنى بدراسة العلاقة بين اللغة والمكان.

جغرافية اللغة في الوقت الحالي:

تُعدّ جغرافية اللغة اليوم علمًا متطورًا يُستخدم في العديد من المجالات، مثل:

- **التخطيط اللغوي :**تُستخدم جغرافية اللغة في التخطيط اللغوي، مثل: تحديد اللغات التي يجب تعليمها في المدارس، ووضع السياسات اللغوية في الدول المختلفة.
- **الدراسات التاريخية :**تُستخدم جغرافية اللغة في الدراسات التاريخية، مثل: تتبع هجرات الشعوب وتحديد أصول اللغات.
- **الدراسات الاجتماعية :**تُستخدم جغرافية اللغة في الدراسات الاجتماعية، مثل: فهم العلاقات بين اللغة والثقافة والهوية.

ثالثا:أهم رواد جغرافية اللغة:

- **كارل ريتر :**عالم جغرافي ألماني، يُعدّ من مؤسسي علم جغرافية اللغة.
- **ألكسندر فون هومبولت :**عالم طبيعي ألماني، ساهم بشكل كبير في تطور جغرافية اللغة.
- **ويليام مارتن :**عالم لسانيات فرنسي، اشتهر بأبحاثه حول اللهجات والتنوع اللغوي.
- **بيتر ترودهيل :**عالم لسانيات بريطاني، اشتهر بكتاباته حول جغرافية اللغة.

رابعا: نشأة الأطلس اللغوي

بدأت فكرة عمل الأطلس اللغوي، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي. وكان رائدا هذا النوع من الدراسة، التي اعترف علماء اللغات بما لها من نفع في حل المشكلات اللغوية، هما" :قنكر Wenker "الألماني، و"جليرون Gillieron "الفرنسي.

وقد قام كل واحد منهما بعمل أطلس لبلاده، ظهر أحدهما وهو الأطلس اللغوي لفرنسا بين عامي 1902-1910 وعنوانه Atlas linguistique de la France :ولم يتم حتى الآن نشر الأطلس الألماني، وإن نشر جزء كبير منه، فقد نشرت الدفعة الأولى منه، وكانت مكونة من ست خرائط في عام 1881م. ومنذ عام 1962م، أخذت طباعة الخرائط تتوالى، على نطاق ضيق، تحت إشراف "فريده.Wsede "

وقد انتقلت فكرة عمل الأطالس اللغوية، إلى بعض البلاد الأخرى، كإيطاليا، وسويسرا، والسويد، والنرويج، والبرتغال، وإنجلترا، أي أنها شملت معظم بلاد أوربا، بل تعدتها إلى أمريكا، وبعض البلدان الشرقية.

أمّا الأطالس اللغوية العربية:

ظهرت الأطالس اللغوية العربية في أواخر القرن العشرين. من أهم الأطالس اللغوية العربية:

- **الأطلس اللغوي العربي،** الذي قام بإنشائه **مركز الدراسات والأبحاث العربية** في جامعة القاهرة.
- **الأطلس اللغوي المغربي،** الذي قام بإنشائه **معهد الدراسات والأبحاث للتعريب** في الرباط.
- **الأطلس اللغوي التونسي،** الذي قام بإنشائه **المعهد الوطني للّغة العربية** في تونس.

خامسا: مفهوم الأطلس اللغوي

هو وسيلةٌ حديثة لدراسة التوزيعِ اللغويّ الجغرافيّ وتسجيلِ الظواهرِ اللغويةِ على خرائطَ جغرافيةٍ حديثةٍ تُظهر ما ذكره القدماء والمحدثون من اختلاف اللهجاتِ في مكان محددٍ، ومعرفةِ ما بينها من الفروق اللغوية والدلالية.

الأطلس اللغوي هو أداة بحثية حديثة تهدف إلى دراسة **التوزيع الجغرافي للظواهر اللغوية** في منطقة معينة.

يتكون الأطلس اللغوي من مجموعة من **الخرائط** التي تُظهر توزيع مختلف **الظواهر اللغوية** مثل:

- **النطق :**طريقة نطق الكلمات، مثل نطق حرف "ق" في بعض اللهجات العربية.
- **المفردات :**الكلمات المستخدمة في منطقة معينة، مثل كلمة "شمسية" في بعض اللهجات العربية بدلاً من "مظلة."
- **القواعد :**قواعد اللغة المستخدمة في منطقة معينة، مثل استخدام "إيش" بدلاً من "ماذا" في بعض اللهجات العربية.
- **النحو :**تركيب الجملة في منطقة معينة، مثل استخدام "أنا راح أروح" بدلاً من "سأذهب" في بعض اللهجات العربية.

سادسا: فوائد الأطلس اللغوي

أ-- **يساعد الأطلس اللغوي على دراسة اللهجات العربية لذاتها،** دراسة علمية عميقة، لاكتشاف ما فيها من خصائص الصوت والبنية والدلالة والتركيب، فضلا عن معرفة التغييرات المختلفة التي تطرأ عليها من وقت إلى آخر.

ب- **يثري الأطلس اللغوي الدراسات البحثية في العربية الفصحى نفسها،** إذ يتيح لنا ذلك المسح الجغرافي، كتابة تاريخ هذه اللغة، في عصورها المختلفة ويمدنا بوسائل علمية لمعرفة أقرب اللهجات العربية صلة باللغة الفصحى وأبعدها عنها. فضلا عن أنه يعين على معرفة ما يتصل من اللهجات بالفصحى، وما هو قديم، فنربط بين القديم والحديث، لتقريب الجديد من الفصحى.

ت- **ينفع الأطلس اللغويُّ المؤرخين وعلماء النفس والاجتماع** العرب والمستشرقين في دراساتهم التاريخية والنفسية والاجتماعية من أجل أن تكتسبَ دراساتُهم مرتبةً عالية من الصحة والصدق والشمول.

ث- **يمدُّنا الأطلس اللغوي القائم على المسح الجغرافي الدقيق بالمعلومات** اللازمة لمعرفة مدى امتداد اللهجات العربية.

سابعا: **مميزات الأطلس اللغوي**

يتمتع الأطلس اللغوي بالعديد من المميزات التي تجعله أداة بحثية قيّمة لفهم التنوع اللغوي وحفظ التراث اللغوي وتطوير اللغة العربية. ومن أهم هذه المميزات:

1- الدقة العلمية:يتميز الأطلس اللغوي بدقته العلمية، حيث يعتمد على **المنهج العلمي** في جمع البيانات وتحليلها.

2- الشمولية:يغطي الأطلس اللغوي مختلف **الظواهر اللغوية** في منطقة معينة، مما يجعله مصدرًا غنيًا بالمعلومات للباحثين.

3- سهولة الاستخدام:يتميز الأطلس اللغوي بسهولة استخدامه، حيث يتم عرضه من خلال **الخرائط والرسومات البيانية،** مما يسهل على الباحثين فهم البيانات وتحليلها.

4- القيمة التاريخية:يمثل الأطلس اللغوي **قيمة تاريخية** مهمة، حيث يوثق مختلف الظواهر اللغوية في منطقة معينة في فترة زمنية محددة.

.5المساهمة في حفظ التراث اللغوي:يساهم الأطلس اللغوي في **حفظ التراث اللغوي** من خلال توثيق مختلف اللهجات العربية وتحديد نقاط القوة والضعف في كل لهجة.